

تفسير ابن كثير

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ

وقوله : (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) ، قيل : لولا ما تقدم

له من العمل في الرخاء . قاله الضحاك بن قيس ، وأبو العالية ، ووهب بن منبه ، وقتادة ،

وغير واحد . واختاره ابن جرير . وقد ورد في الحديث الذي سنورده ما يدل على ذلك إن

صح الخبر . وفي حديث عن ابن عباس : " تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة

" وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعطاء بن السائب ، والسدي ، والحسن

، وقتادة : (فلولا أنه كان من المسبحين) يعني : المصلين . وصرح بعضهم بأنه كان من

المصلين قبل ذلك . وقال بعضهم : كان من المسبحين في جوف أبيه . وقيل : المراد : (

فلولا أنه كان من المسبحين) هو قوله : (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك

إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) [الأنبياء :

87 ، 88] قاله سعيد بن جبير وغيره . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي

ابن وهب ، حدثنا عمي حدثنا أبو صخر : أن يزيد الرقاشي حدثه : أنه سمع أنس بن مالك

- ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أن يونس
النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات ، وهو في بطن الحوت ،
فقال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين . فأقبلت الدعوة تحف بالعرش
، قالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة ؟ فقال : أما
تعرفون ذلك ؟ قالوا : يا رب ، ومن هو ؟ قال : عبدي يونس . قالوا : عبدك يونس الذي
لم يزل يرفع له عمل متقبل ، ودعوة مستجابة ؟ قالوا : يا رب ، أولا ترحم ما كان يصنع
في الرخاء فتنجيه في البلاء ؟ قال : بلى . فأمر الحوت فطرحه بالعراء " . ورواه ابن جرير ،
عن يونس ، عن ابن وهب ، به زاد ابن أبي حاتم : قال أبو صخر حميد بن زياد : فأخبرني
ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث : أنه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء ، وأنبت الله
عليه اليقطينة . قلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ، قال : شجرة الدباء . قال أبو هريرة : وهياً
الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال : هشاش الأرض - قال :
فتفشح عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت . وقال أمية بن أبي الصلت في
ذلك بيتا من شعره : فأنبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله ألقى صاحبا وقد تقدم

حديث أبي هريرة مسندا مرفوعا في تفسير سورة " الأنبياء " .